

عيد القديس يعقوب الحمطوري

٢٠١١-١٠-١٥

الرسالة: عب ٤: ١٤ - ١٦، ٥: ١ - ٦

الإنجيل: مر ٨: ٣٤ - ٣٨، ٩: ١

المجد للآب والابن والروح القدس، الآن وكل آنٍ وإلى دهر الدهرين، آمين.

وددتُ أن أعايدكم في هذا العيد الشريف، إذ توافدتم من أمكنةٍ مختلفةٍ لكي تُحيوا هذه الليلة، رغمَ الجوِّ الباردِ في الصلاة، وتَسَحَّرُوا في صلاتكم وتقدَّسوا بِشِفاعَةِ هذا القديسِ العظيم، يعقوبَ الحمطوريِّ، الشهيدِ في الكهنة.

ويُلفتني في القراءات، التي سمعناها اليومَ في الرسائلِ والإنجيل، ما يَخْتَصُّ بالتربية. فَإِنَّهُ يَقُولُ إِنَّ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَكُونَ ابْنًا أَصِيلًا، لَا نَعْلًا، عَلَيْهِ أَنْ يَحْتَمِلَ تَأْدِيبَ أَبِيهِ، وَأَنْ يَكُونَ طَائِعًا لِكَيْ يَتَمَرَّسَ بِهذهِ الطاعةِ أَنْ يُؤدِّيَ واجِبُهُ كَمَا يَلِيقُ، وَأَنْ يُحَقِّقَ بُنُوَّتَهُ. وَالَّذِي يُؤدِّبُهُ أَبُوهُ، فَهُوَ ابْنٌ أَصِيلٌ. أَمَّا الَّذِي لَا يَتَأدَّبُ، فَهُوَ نَعْلٌ، أَي لَيْسَ بِأَصِيلٍ، لَا يَحْمِلُ نَفْسَ الصِّفَاتِ الَّتِي لِأَبِيهِ. وَهنا يُشِيرُ إِلَى العقيدهِ، إِلَى الإيمانِ، وَلَيْسَ إِلَى الجمالِ والمنظرِ والصِّفَاتِ الأخرى الوراثةِ. ذَلِكَ أَنَّ الَّذِي يَتَأدَّبُ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ، يَحْمِلُ صِفَاتِ الرَّبِّ وَيَمْتَلِكُهَا. وَبذلكَ يَقْدِرُ أَنْ يَعِيشَ فِي المِجْتَمَعِ، خَارِجًا عَنِ المِجْتَمَعِ. "أَنْتُمْ لَسْتُمْ مِنَ العالَمِ، مَعَ أَنِّي اخْتَرْتُكُمْ مِنَ العالَمِ"، لَكِنَّكُمْ تَمَيِّزُونَ بِعَقْلِكُمْ وَبسلوكِكُمْ. فَالمِسيحيُّ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُشَابِهَ أَهْلَ العالَمِ. النَّاسُ يُقَدِّمُونَ لَكَ الشَّهَوَاتِ، يُقَدِّمُونَ النِّزَوَاتِ، يُقَدِّمُونَ الأناثِيَّةَ، وَأَنْتَ عَلَيْكَ أَلَّا تَكُونَ بِهَذَا التَّمَرُّسِ. تَتَأدَّبُ بِتَأْدِيبِ الرَّبِّ، لِكَيْ تُخَالَفَ هَذَا المِجْتَمَعِ، وَتَرْتَقِيَ إِلَى مِجْتَمَعِ سَمَاوِيٍّ مُقَدَّسٍ.

إِذَا مَا قَارْنَا هَذَا النِّصَّ الَّذِي نَسْمَعُهُ مَعَ حَيَاتِنَا فِي مِجْتَمَعِنَا المِسيحيِّ اليَوْمِ، نَجِدُ أَنَّنا نَحْجَلُ. ذَلِكَ أَنَّ المِسيحيِّينَ عَامَّةً لَا يَتَخَلَّقُونَ بِالإنجيلِ، وَلَا يَتَقَيَّدُونَ بِهِ، وَلَا يَتَمَرَّسُونَ عَلَى مُتْرَبِّينَ، لَكِنَّهُمْ بَعِيدُونَ عَنْهُ. وَلهذا تَقَلُّ الشَّهَادَةُ وَالقِدَاسَةُ، وَيَنْخَفِضُ مُسْتَوَى الفِكرِ الإِنْسَانِيِّ، لِأَنَّهُ يَفْقَدُ الإِسْتِنَارَةَ المُقَدَّسَةَ، يَفْقَدُ فَاعِلِيَّةَ النِّعْمَةِ، لِأَنَّهُ يَأْخُذُهَا وَيُبْطِلُهَا وَلَا

يُفَعِّلُهَا. أَمَّا الْمُتَمَرِّسُ حَسَبَ وَصَايَا الرَّبِّ، فَإِنَّهُ يَأْخُذُ مِنَ الرَّبِّ نِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ، وَيَتَمَرَّسُ أَيْضًا وَأَيْضًا فِي كَيْفِ يَطْوِرُ هَذِهِ النِّعْمَةَ، كَيْفَ يَتَفَاعَلُ مَعَهَا، وَيَجْعَلُهَا فَعَّالَةً فِي حَيَاتِهِ، لِيَبْلُغَ الْقِدَاسَةَ الَّتِي شَاءَهَا لَهُ الرَّبُّ.

الْقِدِّيسُ يَعْقُوبُ، رَغْمَ الظُّرُوفِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تُحِيطُ بِحَيَاتِهِ فِي تِلْكَ الْآوَنَةِ، كَانَ مُتَمَرِّسًا إِلَى أْبْعَدِ الْحُدُودِ عَلَى مَحَبَّةِ السَّيِّدِ، وَلِذَلِكَ اقْتَبَلَ الْآلَامَ وَالصَّعُوبَاتِ بِشَهِيَّةٍ وَبِفَرَحٍ، وَلَمْ يَقْبَلِ النَّجَاةَ مِنْ خِلَالِ الْمُجْتَمَعِ الَّذِي يُقَدِّمُ لَهُ سُوءَ الْإِيمَانِ. لَمْ يَقْبَلْ مَا هُوَ سَائِدٌ فِي مُجْتَمَعِهِ، بَلْ قَبِلَ أَنْ يَتَحَدَّى، لَا عَنْ أَنَانِيَّةٍ وَكِبْرِيَاءٍ، بَلْ لِأَنَّهُ يَعْرِفُ حَقِيقَةً. وَعِنْدَمَا نَقُولُ هَذَا الْفِعْلَ "يَعْرِفُ"، أَيُّ لَهُ خُبْرَةٌ مَعَ اللَّهِ، لِأَنَّ الْإِيمَانَ الْحَقِيقِيَّ هُوَ أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْحَقِيقِيَّ وَابْنَكَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ، يَسُوعَ الْمَسِيحَ. "يَعْرِفُوكَ"، لَا يَعْرِفُوا عَلَيْكَ بِالْعَقْلِ. فَالْعَقْلُ الْبَشَرِيُّ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَوْعِبَ الْفِكْرَ الْإِلَهِيَّ. لَكِنَّهُ يَعْرِفُ عَلَيْهِ، أَيُّ تُصِحُّ لَهُ خُبْرَةٌ عَمَلِيَّةٌ وَحَيَاتِيَّةٌ مِنْ خِلَالِ الصَّلَاةِ وَمِنْ خِلَالِ الْأَسْرَارِ الْمُقَدَّسَةِ وَقِرَاءَةِ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ.

هَكَذَا عَاشَ الْقِدِّيسُ، ثَابِتَ الْجَنَانَ، مُحْتَمِلًا الْآلَامَ وَالصَّعُوبَاتِ حَتَّى الْمَوْتَ، وَالتَّشْنِيعَ كَمَا نَرَى الْيَوْمَ فِي آيَامِنَا. فَإِنَّ الْفِكْرَ هُوَ ذَاتُهُ، لِأَنَّ مَنْشَأَهُ مِنَ الشَّرِّيرِ. أَمَّا الْمَسِيحِيُّ، فَلَا يُقَابِلُ الشَّرَّ بِالشَّرِّ، لَكِنَّهُ يَثْبُتُ فِي جِهَادِهِ، وَيَرْفُضُ الْخَطِيئَةَ كُلَّ يَوْمٍ، فِي بَيْتِهِ، فِي عَمَلِهِ، فِي تِجَارَتِهِ وَتَعَامُلِهِ مَعَ النَّاسِ. عِنْدَ ذَلِكَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ شَهِيدًا. إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْمَحْ بِأَنْ تَكُونَ الْإِضْطِهَادَاتُ مُسْتَمِرَّةً، ذَلِكَ لِأَنَّنا ضُعَفَاءُ، وَلَسْنَا نَتَمَرَّسُ كُلَّ يَوْمٍ عَلَى أَنْ نَمُوتَ مِنْ أَجْلِ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ. فَنَسْتَمِرُّ فِي خَطَايَانَا، مُبْتَعِدِينَ عَنْ مَحَبَّتِهِ. لِذَلِكَ يَرْحَمُنَا، لِأَنَّنا لَوْ أَثَارَ الشَّرِّيرُ اضْطِهَادًا عَلَيْنَا، لَمَا ثَبَّتَ وَاحِدٌ مِنَّا. لَكِنَّا نَتَّقُ بِرَحْمَتِهِ، هُوَ الَّذِي يَعِدُّنَا وَيَجْعَلُنَا قَادِرِينَ وَيَمِدُّنَا بِنِعْمَتِهِ، حَتَّى نَسْتَمِرَّ فِي جِهَادِنَا وَنَتَقَدَّسَ. إِنَّهُ بِوَفْرَةِ حُبِّهِ، لَا بَلْ لِفِرْطِ حُبِّهِ، لَا يَقْبَلُ أَنْ نَهْلِكَ، بَلْ يُرِيدُنَا أَنْ نَخْلُصَ وَأَنْ نَتَقَدَّسَ. فَإِنَّهُ يَنْتَظِرُنَا. عِنْدَمَا نَقْتَرِبُ إِلَيْهِ مِقْدَارًا صَغِيرًا، يُوَافِي إِلَيْنَا مُسْرَعًا لِيَحْتَضِنَنَا وَيَجْعَلَنَا ثَابِتِينَ فِي جِهَادِنَا الْمُقَدَّسِ.

فَاتَّبِعُوا وَتَرَبُّوا عَلَى الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ وَعَلَى أَخْلَاقِهِ وَتَعَالِيمِهِ، حَتَّى تَكُونُوا حَقِيقَةً فِي حَيَاتِكُمْ الْيَوْمِيَّةِ شُهُودًا لَهُ، وَفِي نَهَائِيَتِكُمْ أَنْ تَوْهَلُوا لِإِكْلِيلِ الشَّهَادَةِ الْمُقَدَّسِ، وَأَنْ تَبْلُغُوا

ملكوت السماوات، فرحين مع القديسين الذين نُعيدُ لهم كلَّ يوم، والذين نُشيدُ لهم
الأناشيد، حتَّى نتحمَّسَ لثمائلهم ونتقدَّسَ كمثالهم.
فليشفعَ القديسُ يعقوبُ الحمطوريُّ بنا جميعاً، ويُسهِّلَ خُطانا إلى كلِّ عملٍ صالحٍ
يُرضي الربَّ، فتأدَّبْ بتأديبه ونسلِكْ بحسبِ رضاه، مُحترِّينَ كلَّ شهوةٍ وكلَّ رغبةٍ يُقدِّمها
العالمُ لنا لكي ننتسِّخَ، كما قال السيد، من هذا العالم، مُرتفعينَ إلى محبَّته، آمين.

الأرشمندريت المتوحد بندلاييمون

رئيس الدير